علمتني الحياة..

الكاتب : محمد مصطفى حمام

التاريخ : 8 فبراير 2015 م

المشاهدات : 7639

علَّمتني الحياةُ أن أتلقّى

كلَّ ألوانها رضاً وقبولا

ورأيتُ الرِّضا يخفِّف أثقالي

ويُلقي على المآسي سُدولا

والذي أُلهم الرِّضا لا تراه

أبدَ الدهر حاسداً أو عَذولا

أنا راضٍ بكل ما كتب الله

ومُزْجٍ إليه حَمْداً جَزيلا

أنا راضٍ بكل صِنفٍ من الناسِ

لئيماً ألفيتُه أو نبيلا

لستُ أخشى من اللئيم أذاه

لا، ولن أسألَ النبيلَ فتيلا

فسح الله في فؤادي فلا أرضى

من الحبِّ والوداد بديلا

في فؤادي لكل ضيف مكان

فكُنِ الضيفَ مؤنساً أوثقيلا

ضلَّ من يحسب الرضا عن هَوان

أو يراه على النِّفاق دليلا

فالرضا نعمةٌ من الله لم يسعد

بـهـا في العباد إلا القليلا

والـرضـا آيـةُ البراءة والإيـمـان

بالله نـاصـراً ووكـيلا

عـلـمـتني الحياةُ أنَّ لها طعـمَـيـن

مُـراً، وسائغاً معسولا

فـتـعـوَّدتُ حـالَـتَـيْها قريرا

وألـفـتُ الـتـغـيير والتبديلا

أيـهـا الـنـاس كلُّنا شاربُ الكأسَـيـن

إنْ عـلـقماً وإنْ سلسبيلا

نـحـن كالرّوض نُضْرة وذُبولا

نـحـن كـالـنَّجم مَطلعَاً وأُفولا

نـحـن كـالـريح ثورة وسكونا

نـحـن كالمُزن مُمسكاً وهطولا

نـحـن كـالـظنِّ صادقاً وكذوبا

نـحـن كـالحظِّ منصفاً وخذولا

قـد تـسـرِّي الحياةُ عني فتبدي

سـخـريـاتِ الورى قَبيلاً قَبيلا

فـأراهـا مـواعـظـاً ودروسا

ويـراهـا سـواي خَـطْباً جليلا

أمـعـن الناس في مخادعة النّفـسِ

وضـلُّـوا بصائراً وعقولا

عـبـدوا الـجاه والنُّضار وعَينا

مـن عـيـون المَهَا وخدّاً أسيلا

الأديـب الـضـعيف جاهاً ومالا

لـيـس إلا مـثـرثـراً مخبولا

والـعـتـلُّ الـقويُّ جاهاً ومالا

هـو أهـدى هُـدَى وأقـومُ قيلا

وإذا غـادة تـجـلّـت عـليهم

خـشـعـوا أو تـبـتّلوا تبتيلا

وتَـلـوا سـورة الـهـيام وغنّوهـا

وعـافـوا القرآن والإنجيلا

لا يـريـدون آجلاً من ثواب الله

إنَّ الإنـسـان كـان عـجـولا

فـتـنـة عـمّـت المدينة والقريـةَ

لـم تَـعْـفِ فتية أو كهولا

وإذا مـا انـبـريتَ للوعظ قالوا

لـسـتَ ربـاً ولا بُعثتَ رسولا

أرأيـت الـذي يـكـذِّب بـالديـن

ولا يـرهـب الحساب الثقيلا

أكـثـرُ الناس يحكمون على الناس

وهـيـهات أن يكونوا عدولا

فـلـكـم لـقَّـبوا البخيل كريما

ولـكـم لـقَّـبـوا الكريم بخيلا

ولـكـم أعـطَـوا الملحَّ فأغنَوا

ولـكـم أهملوا العفيفَ الخجولا

ربَّ عـذراء حـرّة وصـمـوها

وبـغـيٍّ قـد صـوّروها بتولا

وقـطـيـعِ الـيدين ظلماً ولص

أشـبـع الـنـاس كـفَّه تقبيلا

وسـجـيـنٍ صَـبُّوا عليه نكالا

وسـجـيـنٍ مـدلّـلٍ تـدلـيلا

جُـلُّ مـن قـلَّـد الـفرنجة منا

قـد أسـاء الـتـقـليد والتمثيلا

فـأخـذنـا الخبيث منهم ولم نق

بـسِ مـن الـطـيّبات إلا قليلا

يـوم سـنَّ الـفرنج كذبةَ إبريـلَ

غـدا كـل عُـمْـرنا إبريلا

نـشـروا الرجس مجملاً فنشرناهُ

كـتـابـاً مـفـصَّلاً تفصيلا

***

عـلـمتني الحياة أنَّ الهوى سَيْـلٌ

فـمـن ذا الذي يردُّ السيولا

ثـم قالت: والخير في الكون باقبل

أرى الخيرَ فيه أصلاً أصيلا

إنْ تـرَ الـشـرَ مستفيضاً فهوِّن

لا يـحـبُّ الله الـيئوس الملولا

ويـطول الصراع بين النقيضَـيـنِ

ويَـطوي الزمانُ جيلاً فجيلا

وتظلُّ الأيام تعرض لونَيْها

على الناس بُكرةً وأصيلا

فذليلٌ بالأمس صار عزيزا

وعزيزٌ بالأمس صار ذليلا

ولقد ينهض العليلُ سليما

ولقد يسقطُ السليمُ عليلا

ربَّ جَوعانَ يشتهي فسحة العمرِ

وشبعانَ يستحثُّ الرحيلا

وتظلُّ الأرحامُ تدفع قابيلاً

فيُردي ببغيه هابيلا

ونشيد السلام يتلوه سفّاحون

سَنُّوا الخراب والتقتيلا

وحقوق الإنسان لوحة رسّامٍ

أجاد التزوير والتضليلا

صورٌ ما سرحتُ بالعين فيها

وبفكري إلا خشيتُ الذهولا

***

قال صحبي: نراك تشكو جروحا

أين لحن الرضا رخيماً جميلا

قلت أما جروح نفسي فقد عودْتُها

بَلسَمَ الرضا لتزولا

غيرَ أنَّ السكوتَ عن جرح قومي

ليس إلا التقاعسَ المرذولا

لستُ أرضى لأمة أنبتتني

خُلُقاً شائهاً وقَدْراً ضئيلا

لستُ أرضى تحاسداً أو شقاقا

لستُ أرضى تخاذلاً أو خمولا

أنا أبغي لها الكرامة والمجدَ

وسيفاً على العدا مسلولا

علمتني الحياة أني إن عشتُ

لنفسي أعِشْ حقيراً هزيلا

علمتني الحياةُ أنيَ مهما

أتعلَّمْ فلا أزالُ جَهولا

مدونة لعشاق الشعر

المصادر: